جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة

كلية : الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس: تعليمية اللغة العربية

السنة : أولى ماستر . تخصص: لسانيات عامة

السداسي :الثاني

إعداد وتقديم الأستاذ : بعداش علي

1 مفاهيم أولية:

التعليمية :مفهومها و أهميتها .

مفهومها:

التعليمية مصدر صناعي صيغ من المصدر تعليم وهو مصدر قياسي صريح من الفعل علّم يعلّم علّمه الشيء أي جعله يعرفه يرتبط المدلول اللغوي أساسا بالتعليم والتعلم، والتعلم هو ذلك الجهد الذي يخططه المعلم وينفذه في شكل تفاعل مباشر بينه وبين التلاميذ وهنا تكون العلاقة بين المعلم كطرف والمتعلم كطرف آخر. أما في الدراسات العربية فهي ترجمة لمصطلح ديداكتيك تتمحور حول الدراسات العلمية بطرائق التدريس و تقنياته و لأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها المتعلم بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة. وتعود الجذور اللغوية لكلمة التعليمية إلى الكلمة الأجنبية ديداكتيك التي تدل على فعل التعلم و التكوين.

فالتعليمية حقل من حقول الدراسات اللغوية البيداغوجية بصفة خاصة وهي الميدان العلمي الذي يتحرى العملية التعليمية بمختلف مكوناتها وفق أسس معرفية ومنهجية وتخصها كجانب محوري في دراساتها بفرعيها من تعليمية عامة وخاصة والتي تستقي لنفسها معارف من مختلف الفروع العلمية الأخرى من علم النفس و علم الاجتماع التي تأخذ منها ما يخدم مجال تخصصها.

و التعليمية هي الدراسة العلمية لطرائق التدريس و تقنياته و لأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي حركي

التعليمية: عملية تفاعلية من خلال متعلمين في علاقة مع معلم لكي يتعلموا محتويات داخل اطار مؤسسة من أجل تحقيق أهداف عن طريق أنشطة بمساعدة وسائل تمكن من بلوغ النتائج وهي تنقسم إلى تعليمية عامة تتعلق بجميع المواد وتعليمية خاصة تتعلق بمادة معينة

علاقة التعليمية بالفروع العلمية الأخرى:

تتداخل التعليمية مع عدة تخصصات علمية أخرى إلى درجة يصعب التفريق بينهما في بعض الأحيان.

علاقة التعليمية باللسانيات:

استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات استفادة كبيرة على تعاقب مدارسها ونظرياتها فقد قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية وبنياتها والمناهج التي تحكمها وذلك انطلاقا مما قدّمه سوسير في المدرسة البنيوية وبلومفيلد في المدرسة التوزيعية ومدرسة تشومسكي

التوليدية والتحويلية وما قدمته المدرسة الانجليزية مع فيرث وقد نتج عن كل هذه المدارس عدة مفاهيم كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات ومن أهم تلك المفاهيم مفهوم النظام عند سوسير ففي رأيه أن اللغة نظام محكم يتكون من مستويات للتحليل هي المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ومن ثم فإن تحديد تلك الأبنية ووحداتها وما يربط بينهما من علاقة متنوعة من شأنه أن يعين على معالجة المواد اللغوية المدرّسة معالجة بيداغوجية مخصوصة يراعي فيها التدرج من البسيط إلى المعقد والانتقال من الشبيه إلى الشبيه به أو المقابل له وهو ما يساعد على ترسيخ المعلومات المقدمة في أذهان المتعلمين وتيسير عملية استحضارها من قبلهم كلما شعروا بالحاجة إلى ذلك.

ومن بين مظاهر التأثر أيضا أن أعيد الاعتبار للغة المنطوقة فأصبحت لها أهميتها في الوصف والدراسة وهي نظرة جديدة لم تكن من قبل عندما كانت تسود الدراسات التاريخية والمقارنة التي كانت تركز على النصوص المكتوبة لكبار الأدباء.

إن اللغة المنطوقة تتميز بالنشاط والحيوية من ذلك أن الطفل لا يشرع في تعلم اللغة المكتوبة إلا بعد أن يتعلم اللغة المنطوقة.

وقد استفادت التعليمية أيضا من اللسانيات في جانبها الصوتي في تصحيح النطق لدى المتعلمين خصوصا في تعلم اللغات الأجنبية بالإضافة إلى ذلك أن معظم المدارس اللسانية قد اتخذت من الجملة وحدتها الأساسية في دراسة اللغة، ومن بين أهم المفاهيم اللسانية التي كانت لها تأثير واسع في تعليمية اللغة مفهوم الملكة اللغوية ويقابلها مفهوم الأداء والانجاز وهما مفهومان أساسيان في المدرسة التوليدية التحويلية فالملكة اللغوية تمثل جملة القدرات والاستعدادات التي تمكن الفرد من انجاز اللغة بعد ذلك بمعنى أن الانجاز هو استثمار للملكة.

إن ما جاء به شوم سكي في هذا الإطار على قدر كبير جدا من الأهمية في تعليمية اللغات غير أنه يظل غير كاف في نظر أصحاب المدرسة الانجليزية التي تسمى بالفيرثية الجديدة نسبة إلى فيرث صاحب نظرية سياق الحال في بداية الأربعينيات ولهذا أضاف هايمس مصطلحا آخر هو الملكة التبليغية التواصلية.

تعني الملكة التبليغية القدرة على استعمال اللغة في مختلف الأحوال الخطابية لشتى الأغراض وبهذا تتعدى الملكة اللغوية التي تعني القدرة على التركيب السليم للنماذج الصوتية والمعجمية والنحوية والنصية لنظام اللغة.إن الملكة التبليغية لا تعني معرفة النظام الصوتي والصرفي والنحوي فقط وإنما تتعدى ذلك إلى معرف

معايير وقواعد التوظيف وقدرة المتكلمين في ذلك فلا تتضمن العناصر والبنيات اللسانية وحدها بل تشمل أيضا قواعدها الاجتماعية ومعرفة سياقاتها و كيفيات استعمالها حسب مقتضيات أحوالها.

وهكذا تشكل اللسانيات للباحث في التعليمية ميدانا لدراسة الظواهر التي يلاحظها في أبحاثه ويفسرها، ومجالا لتقديم تصورات أو خطط وإجراءات منهجية بغية تعليم اللغات وتعلمها وذلك على مستويين: مستوى مفهومي أو نظري ومستوى منهجي أو تطبيقي.

علاقة التعليمية بعلم النفس:

إن علم النفس يجيب عن كثير من التساؤلات المتعلقة بالحياة التعليمية التعلمية ويقدم معلومات ثمينة عن الحاجات اللغوية والدوافع نحو التعلم واستراتيجياته ويحاول أن يجيب عن أسئلة مثل: كيف يتلقى التلميذ خطابا ؟ وما هي أهم الصعوبات والعقبات التي تواجهه وماهي مجمل العلاقات بين تعلم لغة من اللغات وبين عناصر مثل: الشخصية ، الذاكرة، الإدراك و الفهم ؟

علاقة التعليمية بعلم الاجتماع:

اللغة ظاهرة اجتماعية أولا وقبل كل شيء تلعب دورا حاسما في التواصل بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية المختلفة ولذا فإن علم الاجتماع يجيب عن العديد من الأسئلة المتعلقة بالتعليمية من مشكل الاستعمالات اللغوية المختلفة من يستعملها ومع من يستعملها وكيف يستعملها وما هي جملة القواعد الاجتماعية المتحكمة في ذلك وما هي المظاهر الثقافية والحضارية لمجتمع لغوي معين مثل الازدواجية اللغوية والتعددية وأنساق القيم والعادات والتقاليد والأعراف المعبر عنها في محتوى لغوي مقرر على التلاميذ في مرحلة دراسية معينة.

علاقة التعليمية البيداغوجيا:

تشترك التعليمية البيداغوجيا في مسارات اكتساب المعارف وتبليغها لكن التعليمية تعالج محتويات المعرفة خاصة بينما تهتم البيداغوجيا بالعلاقات بين المتعلمين والمعلمين يوجد تداخل كبير بين التعليمية البيداغوجيا حتى أنه يصعب التفريق بينهما ورسم الحدود التي تميز هذا عن ذاك وهناك ما يرى أن تعليمية اللغات هي عبارة عن امتداد البيداغوجيا والأسئلة التي تجيب عنها البيداغوجيا تتمثل في العلاقات بين المعلم والمتعلم واستعمال الطرائق والتقنيات التربوية واستعمال الوسائل المختلفة في العملية التعليمية وأساليب تقويم التعليم والتعلم...إلخ.

وبعد هذا نستطيع أن نقول :إن التعليمية تخصص يستفيد من عدة حقول معرفية مثل اللسانيات، علم النفس علم الاجتماع علم التربية ويختار منها ما يناسبه ليؤسس عليها بناء تخصص جديد في ميدان التدريس.

بذور لتعليمية في التراث

درج هذا المصطلح على ألسنة المحدثين ولم يعد منغلقا في دائرة تعليمية اللغات، بل تعداها إلى سائر العلوم والمعارف باعتبارها تشكّل وضعية تعلّمية. ويعالج الدرس الحديث هذا المصطلح كونه عملية ديناميكية قائمة أساسا على ما يقدم للمتعلم من معارف ومعلومات ومهارات، وعلى ما يقوم به المتعلم نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها وتحسينها باستمرار

بناء عليه فإن هذا المصطلح يعد وجها من وجوه الاتصال الجماهيري، و ليس هذا ببعيد عن العرب قديما سوى أنهم لم يتفطنوا إلى مثل تلك المصطلحات، بل إن ممارستهم تعد تفسيرات واضحة لتلك المفاهيم فإذا كان أهم ما يعنى به في تعليم اللغة التركيز على استخدامها وممارستها خاصة في المراحل الأولى لنمو القدرة اللغوية، فإن الأعراب قديما ساروا على هذا النهج واتفقوا عليه، حيث خرجوا إلى البادية حيث البقية من خالص العربية، أو استقدموا إلى حواضرهم من أهلها من استقدموا ليلقوهم ما عندهم وليتلقوا منهم بالممارسة والمشافهة التي هي طبيعة الأمر في تلقين اللغات، وأقرب الطرق وأسلمها في كسب اللغة الحية.

من خلال مما سبق يتبين لنا أن مصطلح التعليمية يتأسس على مفهومين جوهريين هما:

الكفاءة التواصلية: وهي تزويد المتعلم بالمهارات التي تساعده على التواصل مع غيره باللغة الهدف.

الكفاءة اللغوية: وهي تزويد المتعلم بما يعينه على فهم طبيعة اللغة والقواعد التي تحكمها. وهو الأمر الذي انتبه له الأعراب قديما. حيث يقابل المصطلح الأول ما يسمى بالممارسة الفعلية أو الاحتكاك المباشر، وهو ما كان متفشيا في سنن العرب وعاداتهم؛ من خلال إرسال ولدانهم إلى البوادي حفاظا على سلامة ألسنتهم من اللحن والعجمة. وفي سير العلماء دلائل ذلك، ومن النماذج على ذلك قول الشافعي متحدثا عن نفسه: خرجت من مكة، فلزمت هذيلا في البادية، أتعلم كلامها، وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، قال فبقيت فيهم سبع عشرة سة ارحل برحيلها، وأنزل بنزولهم، فلما رجعت من مكة جعلت اشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب.

أما المفهوم الثاني فيقابل لديهم مبدأ التلقين والحفظ، الذي كان ساريا ومتفشيا في بلاد المغرب لزمن طويل. وقد تحدثوا عنه وعن أهميته في تكوين الرصيد اللغوي للمتعلم فيقول الجاحظ: كانوا يروون صبيانهم الأرجاز ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب، لأن ذلك يفتق اللهاة، ويفتح الجرم.

ويؤكد ذلك ثعلب أيضا في مجالسه، حيث يقول: حذفت العربية، وحفظت كتب الفراء كلها حتى لم يشذ عني حرف منها ولي خمس وعشرون سنة، وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره. فلما أتقنته أكببت على الشعر والمعاني والغريب، ولزمت أبا عبد الله بن الأعرابي بضع عشرة سنة.

لقد ترسخ مصطلح التعليمية في الكتب التراثية العربية من خلال الممارسات الفعلية، للنسق والنهج الذي اعتاده هؤلاء طبعا وسجية، وليس هذا ببعيد عن المفاهيم الحديثة.

عناصر العملية التعليمية:

لا تكتمل العملية التعليمية إلا باكتمال عناصرها المسطرة تحت ما يسمى بالمثلث الديداكتيكي، والمتكون من الأقطاب التالية: المعلم، والمتعلم، والمعارف. الموضحة في المخطط التالي:

المعرفة (المادة التعليمية) القطب المعرفي

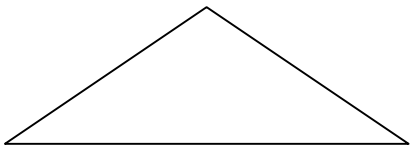

المعلّم (القطب البيدغوجي) المتعلّم (القطب السيكولوجي)

لقد أسهب المحدثون تفصيل الحديث في تلك الأقطاب الثلاث، كما أن الكتب التراثية هي الأخرى انتبهت إلى أهمية هذا الموضوع؛ ففي أثناء استقرائنا لبعض تلك المؤلفات المعنية بالتراث، وجدنا تفاصيل ذلك في النقاط التالية:

المعلم: هو طاقة الإبداع في العملية التعليمية، وأهم العناصر الدخلية في تلك المنظومة، تصلح لصلاحه، وتضعف بضعفه. يحضر في تراث العربي بمسميات متعددة م بينها الأستاذ، الشيخ، العالم، المؤدب...الخ. كانت لهم أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية والعلمية لأسباب ودواعي اختصرها الجاحظ في النقاط التالية:

. حاجة الملوك لهم، الأمر الذي يظهر جليا في اتخاذ الملوك المؤدبين لتأديب أبنائهم على مر العصور.

. عدم استنكاف أصحاب العلم والأدباء الكبار عن العمل في هذه المهنة.

. حاجة الناس إلى المعلمين في كل ميادين الحياة العملية.

من هذا المنطلق وضعوا مجموعة الشروط الواجب توفرها في المعلم، حتى يكون أهلا للمسؤولية الملقاة على عاتقه. وهو ما لم يغفل العلماء العرب قديما عنه ويمكن إيجاز أهم تلك الشروط في النقاط التالية:

الاستعداد المهني: وهو الاستعداد القبلي لهذه المهنة، من كل النواحي سواء في ذلك النواحي النفسية أو الأدائية أو المهارات والكفاءات اللغوية...الخ. فاشترطوا حينئذ ألاّ ينتصب لهذا المنصب العلمي الخطير إلاّ بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذته وكبار علماء عصره أو بلدته على الأقل.

التفرّغ: وذلك بالاكتفاء والتفرّغ التام لمهنة التعليم حتى لا يتشتت الذهن ولا تضعف العزيمة مع انشغالات أخرى، وهو ذات الأمر الذي نص عليه أسلافنا فاشترطوا في ذلك تخليه عن كل شيء للتعليم، وأولا يشتغل بغير صناعته.

والمتأمل في النصوص التراثية حول هذا الشرط يجد أن فحواها ومضامينها، منها ما يركز على جهد المعلم وعدم تصريفه إلا فيما يعود بالنفع على المتعلم، ومنها ما يركز على ما يتقاضاه المعلم من أجر، على نحو ما أدلى به القابسي في قوله: من واجب المعلم انصرافه إلى عمله وعدم الانشغال على تعليم الصبيان بأي شيء من الأشياء لأنه يتناول أجرا على عمله، فلا بد له من وفاء ما استؤجر عليه.

الصبر: وذلك حتى يتسنى له ممارسته مهنته على أكمل وجه وهو ما نلتمسه من خلال الفكر التربوي في سير العلماء، والصبر هاهنا تتعدد جوانبه ومناحيه، فمنهم من ربطه بالصبر على المتعلم، وذلك ببذل الجهد في تفهيم كل طالب ما يتحمله ذهنه. ومنهم من ربطه بالكفاءة المهنية وتطوير الذات، وهناك من جعله يرتبط بمهنة التعليم في حد ذاتها.

التطوير الذاتي: وذلك بالتطلع لمراتب أسمى، سواء بالتطوير في الكفاءة اللغوية، أو غيرها من الكفاءات التي ينبغي توفرها في المعلم الجيد؛ بحكم أن من صفات المربي الجدير أنه لا يكتفي بما وصل إليه من علم، بل يطلب المزيد منه، ويتحمل المشاق في سبيله.

القدوة الحسنة: ذلك أن المعلم هو المثل الذي يحتذى به، ولشخصيته الأثر العظيم في نفوس طلابه خاصة في المراحل الأولى من التعليم؛ إذ يتأثرون وهم في تلك السن بمظهره وسلوكه، بحديثه وكثير ألفاظه. ومما يؤيد ذلك ما رواه الجاحظ من كلام عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده حيث قال: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبح عندهم ما استقبحت.

جودة الإلقاء: يؤكد الدارسون على أهمية هذه الجزئية في العملية التعليمية، باعتبارها عنصرا مهما في فنيات التدريس، و تدخل ضمن الخصائص والسمات المميزة لشخصية الأستاذ، باعتبار أن جودة الإلقاء فن يتمرّس عليه حتى يكسب ثقة طلابه، من أجل ذلك اهتم بهذا العنصر أسلافنا الأوائل اللذين هم أهل الشعر والخطابة. فهذا القلقشندي يضع دستورا قويا للمعلم في إعداد الفكرة و إلقائها في قوله: إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، ونق له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرب تناولها، ولا تتقدم الكلام تقدما واستعمل جزل الألفاظ و سهلها وفصيحها وسلسلها، وتجنب ما يكسب الكلام تعمية.

مراعاة أحوال المتعلمين: لقد انتبه أسلافنا إلى هذه المسألة التربوية، و مدى تأثيرها في صناعة الموقف التربوي؛ فعلاقة المعلم مع المتعلم تسهم بشكل أو بآخر في نجاح أو فشل العملية التعليمية. و هو الأمر الذي يحرص عليه الدارسون سواء في ذلك القدماء أو المحدثون. أما قديما فقد عجّت كتب أسلافنا بالنصوص التشريعية في هذه المسألة التربوية و غيرها، و أوغلوا تفصيل الحديث فيها، فلم يتركوا مجالا إلا وصنفوا فيه، و من ذلك مراعاتهم للفروق الفردية بين المتعلمين، و القوة الحسنة، و تشجيع المتميزيين...الخ. و في هذا الصدد ورد غير مرة في الفكر التربوي لابن جماعة حرصه على تعليم المتعلم وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له، من غير إكثار لا يحتمله ذهنه، أو بسط لا يضبطه حفظه، و يوضح لمتوقف الذهن العبارة و يحتسب إعادة الشرح له و تكراره، ويبدأ بتصوير المسائل ثم يوضحها بالأمثلة.

أما ابن رجب فيحرص على أن يشفق العالم (المعلم) على طلاب العلم ويعطف عليهم ويترفّق بهم، و العالم يشجع طلاب العلم على كسب العلم و تحصيله، و يبشرهم بما بشر به رسول الله ﷺ طالب العلم، و من صفات العالم مع طلابه أن يحبّهم ويرحّب بهم، و يحثهم على العلم و العمل و الجد. و يراعي الحالة النفسية لهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، ويعطيهم من العلم ما تستطيع عقولهم استيعابه، و يستغل فرص نشاطهم و وقت فراغهم، و يريحهم إذا لحظ عليهم علامة الفتور والكسل حتى لا يسأموا الدرس و ينصرفوا بعقولهم عن العلم.

المحتوى التعليمي: أي المادة اللغوية المطلوب تدريسها للمتعلم، و جملة المعارف المستهدفة من العملية التعليمية، كما أنها تظهر في سياق المحتوى اللغوي والمحدد مسبقا في المقررات و البرامج التعليمية عبر الأطوار المختلفة، و في العصور العربية الأولى كان اهتمامهم في بناء المحتوى التعليمي و انتقاء مادته بكل

ما من شأنه خدمة الدين الإسلامي، و عليه يحتل النص القرآني والحديث النبوي الشريف الصدارة بين النصوص الأخرى. و في هذا الصدد ذكر الجاحظ قصة عتبة بن أبي سفيان الذي أوصى معلم أولاده قائلا له: علّمهم كتاب الله.. و روّهم من الحديث أشرفه، و من الشعر أعفّه، و لا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم. ثم إن هذا النص فيه من الإشارات التربوية المهمة للوصول إلى مستوى الجودة في صياغة محتوى يتميز بالإحكام و الدقة و الجودة، كما أن الجاحظ لم يقف عند ذلك الحد بل تفطن إلى مسألة مهمة و هي أن المحتوى التعليمي ننظر إليه من زاويتين؛ الحجم وطبيعة المادة، ذلك ما نبه عليه في آخر كلامه حيث قال ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم إشارة منه إلى ضرورة انتقاء الأهم للمتعلم و عدم الإكثار عليه إلا بما يحتاجه في تلك الفترة التعليمية.

أما معايير اختيار المادة التعليمية و انتقائها فقد كانت نصوصهم تتضمن عدة مبادئ أساسية في اختيار المحتوى و بنائه نوجز أهمها فيما يلي:

مراعاة طبيعة المتعلم: من خلال مراعاة المحتوى التعليمي لمستوى المتعلمين، و استعداداتهم، و قدراتهم، و توجيهاتهم باختيار المفردات التي تتناسب مع السن التعليمي، و هو ما يمكن أن نلتمسه في الفكر التربوي لابن خلدون، حيث نص على أن مراعاة مقدرة الطالب و مساعدته على الفهم؛ واجب المعلّم أن يعطي بحسب قدرات الطالب من المعلومات و مساعدته على استيعابها.

مراعاة الأهداف البيداغوجية المسطرة مسبقا: ومن ثمة يتوجب هاهنا مراعاة ضرورة توافق المحتوى التعليمي مع الأهداف البيداغوجية المسطرة للمرحلة التعليمية، و هو ما اتفق عليه الفكر التربوي عند ابن خلدون و ابن الأزرق، حيث خلصوا إلى أنه يتوجب على المعلمين أن يختاروا لطلابهم ما يفي بالغرض، ويحقق الهدف.

ضرورة ارتباط المحتوى التعليمي بواقع المجتمع وثقافته: وذلك من خلال المحتوى المناسب مع احتياجات المتعلم، و بيئته، و ثقافته، وعادات مجتمعه..و هكذا. و في هذا المقام وجب على المعلم أن يهتم مع طلابه بالدروس المهمة فيقدم ما تكثر حاجتهم إليه على غيره.

و هو ما اتفق حوله ابن خلدون و ابن الأزرق حيث نادوا بضرورة اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد؛ توجب على المعلمين أن يختاروا لطلابهم ما يفي بالغرض و يحقق الهدف، و يكون ذلك بأن يقتصر المعلمون على المسائل الأساسية فقط دون الدخول في الشروحات المتنافرة و المتفارقة.

نلاحظ أن أسلافنا انتبهوا إلى الكثير من مفاهيم اللسانيات التعليمية، فكما رأينا انتباههم للمفاهيم الأساسية التي استبقوا بها ركب الحضارة سوى في المصطلحات.

و في ذات السياق انتبه العرب قديما إلى مسألة التدرج في عرض المادة التعليمية، لما في ذلك من تأثير مهم على الاكتساب و التحصيل الجيد، وفي هذا الإطار يعد ابن خلدون أكثر من عالج هذه القضية بكثير من التوضيح والتيسير على نحو قوله: اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيد إذا كان على التدريج سيئا فشيئا و قليلا قليلا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب. و يقرّب له في شرحها على سبيل الإجمالي و يراعي في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة.

من خلال ما سبق يظهر الفكر التربوي لابن خلدون الذي يركز على التدرج في عرض المادة وانتقاء المتواتر منها على غيرها؛ فجعل ذلك عبر ثلاثة مراحل أساسية هي كالآتي:

. مرحلة التحصيل.

. مرحلة الارتقاء النسبي.

. مرحلة التخصص.

أما المرحلة الأولى فهي التي يتم التركيز فيها على تحصيل الملكة اللغوية، و ذلك بأن يلقي المعلم على المتعلم أصول الباب أو الفن الذي يرغب في تدريسه إياه، ثم يقرب له في شرحه بصورة مجملة بعيدة عن التفصيلات و الشروحات العميقة. وهي تقابل حاليا المرحلة الابتدائية في التعليم.

أما بالمرحلة الثانية، فهي تكمن في الارتقاء النسبي بالمتعلم درجة ما كان عليه؛ حيث يضيف له المدرس ما يحتاج إليه من المعلومات، و ستوفي له الشرح والبيان، ذاكرا بعض الوجوه الخلافية بين مسألة و أخرى على سبيل التوضيح، كأن يقارن بين قاعدة و أخرى، و هكذا إعدادا لهم للمرحلة المقبلة.

في حين تعد المرحلة الثالثة أسمى المراحل، كونها مرحلة تخصصية بالنسبة للمتعلم، و هي بمثابة المرحلة الجامعية في وقتنا الحالي. يتلقى خلالها المتعلم كل القضايا والمسائل العلمية في تخصصه، و يشترط خلالها عدم إغفال أي عويص من المسائل و لا معقد من القضايا التي ينبغي طرحها. و لا يكون ذلك إلا بالتطرق لمجمل الآراء والتوجهات المطروحة في علم من العلوم.

الطريقة التعليمية:

بقد خلّد لبن خلدون نصوصا، و كلمات حق لها أن تكتب بماء الذهب، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر قوله في مجال التعليم: على قدر جودة التعليم و مَلكة المعلّم في الصناعة و حصول مَلَكته. من خلال هذا النص نجد انتباه العرب قديما مفاهيم تعليمية متنوعة من خلال واقعهم الذي سرى فيه الاهتمام البالغ بسلامة اللسان من اللحن، و هو ما ظهر في سير أعلامهم و نبلائهم، وكتب مؤدبيهم. و خاصة من ذلك الطرائق والأساليب التعليمية؛ حيث تكاد تتفق ممارستهم حول مجموعة من الأساليب و الطرائق التعليمية التي نذكر أهمها فيما يلي:

الطريقة الحوارية:

يعتبر الحوار من بين أهم الآليات اللغوية، والوسائل الإجرائية في التعليم، كما يدخل ضمن دائرة التعليم النشط، لما في ذلك من أهمية في تحفيز الذاكرة، و خلق التفاعل والجو التنافسي بين المتعلمين. وقد تفطن الأولون لمثل هذا الأسلوب، ومدى أهميته في الموقف التعليمي على نحو ما جاء في نص ابن خلدون القائل بأن: أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصّل مرامها.

الطريقة الطبيعية:

وهي طريقة الاحتكاك المباشر ببيئة اللغة الهدف، حيث أن تحصيل اللغوية يكون على مستويين؛ الأول منهما متعلق بنظام تلك اللغة و قواعدها، و الثاني يختصر في الممارسات الفعلية لمبادئ تلك اللغة، عن طريق التواصل المباشر بأهلها، على اعتبار أن الملكة اللغوية تتضمن المهارات الأربعة التالية: الاستماع، والحديث، والكتابة، والقراءة. وكل مهارة تكمّل الأخرى.

تحت هذه الطريقة تنضوي مجموعة من المبادئ التعليمية الناجعة في التحصيل الجيد للملكة اللغوية من ذلك ما يسمّى الانغماس اللغوي أو ما يطلق عليه الحمام اللغوي الذي يُفترض أن يتم الاكتساب خلاله في بيئة طبيعية لمدة زمنية معينة. أو توفير بيئة مصطنعة للغة الهدف. يتم التركيز فيها على جل المهارات اللغوية وخاصة الاستماع، على اعتبار أنه ـ حسب ابن خلدون ـ أبو الملكات.

أكد أسلافنا الحديث عن هذا الأسلوب في التعليم، واعتبروه من أنجع السبل في الاكتساب اللغوي، على نحو ما تحدث به ابن خلدون في تمييزه بين بيئتين؛ بيئة المنشأ، و بيئة المربى. أما الأولى فالمقصود بها البيئة التي نشأ فيها، و ولد بين أحضانها. في حين تعد البيئة الثانية، البيئة التي انتقل إليها و ترعرع فيها. و في هذا الصدد يقول:" إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب. فإن عرض لك ما

تسمعه من أن سيبويه و الفارسي و الزمخشري و أمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعجاما من حصول هذه الملكة لهم، فاعلم أن أولئك القوم الذين نسمع عنهم إنما كانوا عجما في نسبهم فقط، أما المربى والنشأة فكان بين أهل هذه الملكة من العرب و من تعلمها منهم، فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا شيء و راءها؛ و كأنهم في أول نشأتهم بمنزلة الأصاغر من العرب الذين نشئوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة و صاروا من أهليها..." يشير هذا النص إلى أن الاحتكاك المباشر له الأثر في الرصيد اللغوي. و قد أشار إلى هذا دوغلاس براون من خلال التجربة الأمريكية مع الجيش؛ حيث قامت الو.م.أ في الحرب العالمية الثانية، بتركيز اهتمامها على التدريب اللغوي للجيش على حساب لتدريبات الأخرى، وذلك لما اشتدت بهم الحاجة إلى "اكتساب الكفاءة الشفهية في لغات حلفائهم وأعدائهم على السواء، و هكذا تولت المؤسسة العسكرية جهودا لغوية مكثفة تركز على المهارات الشفهية."

يرى ابن خلدون بأن أسلوب الاحتكاك المباشر و الممارسة الفعلية ليس شيئا خاصا بالملكة اللغوية فحسب، بل يمارس مع جميع الصنائع. باعتبار أن هذا الأسلوب يعد من بين وسائل نقل الأفكار، وطبع المعتقدات في النفوس، والمثال في ذلك أن كثيرا من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان و الفرسان وأصحاب السلاح و تربوا معهم، تطبعوا بأخلاقهم، و صاروا مثلهم. و على هذا القياس يجري حكم سائر الأخلاق و السجايا التي يتطبع عليها الصبيان منذ الصغر، إما بأخلاق الآباء و الأمهات...و المعلمين و الأساتذة المخالطين لهم في تصاريف أحوالهم."

طريقة التلقين:

يأتي هذا الأسلوب في المرتبة الثانية بعد الأسلوب المباشر في الممارسات التراثية العربية، و قد كان أكثر اعتمادا عند أهل المغرب، ومتفشيا بشكل ملحوظ في الجزيرة العربية، و لا يزال إلى يومنا هذا معتمدا في الكثير من المؤسسات التربوية الحديثة، و خاصة في المراحل التعليمية الأولى، حيث " تعتمد طريقة المعلم في تدريس طلابه في هذه المرحلة بشكل كبير على طريقة التلقين، حيث يقرأ المعلم بعض الجمل و يطلب من طلابه القراءة و التكرار بشكل جماعي وبصوت مرتفع، و يستخدم اللوح في كتابة بعض الآيات القرآنية أو بعض قصار السور، أو بعض المسائل الحسابية و المقاطع الأدبية السهلة و القصيرة في دراسة مادتي الخط و الإملاء، و يطلب المعلم من طلابه ما يمكن تسميته بالواجبات المنزلية من الحفظ و التمرن على الكتابة و معاقبة المقصر في ذلك." يعتبر هذا النص بمثابة لوحة تصف مجريات العملية التعليمية داخل الفصل، و التي تبتدئ بالتلقين و تنتهي عنده. الأخير الذي يراه الكثير من

الدارسون والعلماء الأقدمون والمحدثون أسلوبا ناجعا في ترسيخ المادة اللغوية، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون بأن " وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن و الحديث و كلام السلف و مخاطبات العرب في أسجاعهم و أشعارهم.

وفي السياق نفسه يرى إخوان الصفا أن هذا الأسلوب ناجع في عملية الاكتساب و التحصيل، و ذلك في قولهم بأن النظر في العلوم و المداومة على البحث عنها و الدرس لها، و المذاكرة فيها، يقوّي الحذق بها و الرسوخ فيها.

إضافة غلى ما سبق عناك بعض القضايا المتوافقة مع الطرائق والممارسات التعليمية في النصوص التراثية، من ذلك أسلوب التعزيز، الأخير الذي يعد أحد أهم المبادئ التي تقوم عليها المعادلة السلوكية المتكونة من مثير واستجابة، على أن ديمومة و استمرارية الاستجابات الايجابية تكون بالتعزيز المباشر، من خلال التشجيع الثناء...الخ لما في ذلك من تحفيز للمتعلم على الاجتهاد و الإقبال على العلم والتعلم. و العكس إن رأى منه غير ذلك من إهمال وكسل،حيث يقوم بتأديبه وتعنيفه بالقدر الذي لا ينفره من العلم والتعلم وفي هذا الصدد ينص ابن جماعة ضرورة اهتمام المعلم بهذه المسألة مع طلابه (فمن رآه مصيبا ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد ومن يراه مقصرا ولم يخف نفوره عنّفه على قصوره وحرّضه على ما يقتضي علوّ الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم لا سيما إن كان ممن يزيده التعنيف نشاطا والشكر انبساطا..

في نهاية هذه الجولة من المفاهيم التربوية في التراث العربي على ضوء اللسانيات الحديثة، توصلنا في آخر المطاف إلى فكر متوقّد، ومفاهيم مستنيرة بممارسة فعلية تجاري الدرس الحديث إلا في بعض المصطلحات. وبناء عليه خلصنا إلى بعض الاستنتاجات الموجزة في النقاط التالية:

. يرتبط مصطلح التعليمية في التراث العربي بمكونين أساسين هما الكفاءة والأداء؛ حيث تظهر الكفاءة في الفنيات التي يمتلكها المدرس، في حين يتجلى الأداء في التجسيد الفعلي لتلك الفنيات داخل الموقف التعليمي.

. نظر العرب القدماء للمعلم نظرة إجلال وإكبار، ورسموا له دستورا يوضح مجمل الصفات التي ينبغي عليه التحلي بها، و تتوزع تلك الصفات على جوانب متعددة كالجانب الجسماني، و الجانب العقلي، و الاجتماعي، و اللغوي، و المهني...الخ.

. يعد النص القرآني والحديث النبوي الشريف ثم الشعر هو الأساس في بناء المحتوى التعليمي، كما أنه الأساس المتين في تحصيل الملكة اللغوية السليمة.

. تعد الطريقة الطبيعية الخاضعة للاحتكاك المباشر بالبيئة اللغوية من أنجع الطرائق في الاكتساب اللغوي، كما أن عملية الاكتساب تتم على مستويين، أهمهما هو الممارسة الفعلية للمادة اللغوية.

الوسائط التعليمية

هي كل الوسائل السمعية والبصرية (التسجيلات الصوتية والأفلام والسبورة والصور الفوتوغرافية والخرائط و اللوحات والبطاقات والنصوص التاريخية والخطب الرسمية والخطاطات والرسوم والبيانية والمتاحف والمعارض و الرحلات و الخرجات التربوية...) التي يستعين بها المدرس لتحسين عملية التعليم والتعلم، ولجعل المتعلم يكتسب المعارف و المهارات و المواقف والقيم. وقد أطلقت على هذه الوسائط أسماء متعددة منها: وسائل الإيضاح و الوسائل البصرية و الوسائل السمعية و الوسائل المعينة و الوسائل التعليمية و تكنلوجيا التعليم. و هي تعني جميع الطرق و الأدوات و الأجهزة و التنظيمات المستخدمة في نظام تعليمي بغرض تحقيق أهداف تعليمية محددة.

أهمية الوسائط التعليمية

تكتسي الوسائط التعليمية أهمية كبرى في العملية التعليمية التعلمية،. فهي من جهة، تساعد المتعلم على تنمية ملاحظته وصقل مهاراته وذوقه وسلوكه، وتولد في نفسه الرغبة في البحث و تحقيق الذات. و من جهة أخرى، تساعد المدرس على أداء مهمته التعليمية، و تسهم في التحسين من جودة التعليم والتعلم و تجعل الدرس أكثر تشويقا و إثارة بالتغلب على نمطيته و كسر رتابته، ومن ثم إضفاء طابع الحيوية و النشاط على الدرس و استقطاب أكبر عدد من التلاميذ و إشراكهم في بناء الدرس.